

## نزول المسيح إلى الجحيم

القديس إبيفانيوس

خطاب في دفن جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، عن يوسف الذي من الرامة، عن نزول الرب إلى الجحيم نزولاً مستغرباً بعد الآلام الخلاصية

### السكون

١- ما هذا الصمت غير المحدود، المخيم على الأرض في هذا اليوم؟ صمت عظيم وهدوء كثير. صمت عظيم لأن الملك نائم. خشعت الأرض فاستراحت لأن الإله قد رقد بالجسد. مات الإله بالجسد وارتعدت الجحيم. رقد الإله قليلاً والذين رقدوا منذ الدهر أقامهم من الجحيم. أين هي الاضطرابات والأصوات والضجة الأثمة المصعدة ضد المسيح؟ أين الجماهير والثورات والجنود والحراس والسيوف والرماح؟ أين الملوك والكهنة والقضاة المقضي عليهم؟ أين المشاعل المضاعة والسيوف والصرخات الفوضوية؟ أين الجماهير المزمجرة والحراس العديمو الحشمة؟ لقد اختفى الجميع لأن الشعوب بالحقيقة دبّرت خطأ باطلاً لا معنى لها. داسوا حجر لزاوية، المسيح فتحطموا. ضربوا بمكر الصخرة الثابتة لكنهم تلاشوا كالزبد على مثال الموج الذي يضرب الصخور. دقوا على السندان غير المنهزم فتقطعوا إرباً إرباً. رفعوا الحجر على خشبة الصليب فتدحرج عليهم وقتلهم. كما قيد الفلسطينيين شمشون الجبار كذلك فعلوا بالمسيح الشمس، لكن هذا الأخير حطم السلاسل التي منذ القديم البعيد، وقضى على الأثمة والغرباء. غاب الإله المسيح شمس العدل في الأرض فنزل على اليهود ظلام كثيف

-٢-

### الخلاص

٢- اليوم الخلاص للذين يعيشون على الأرض وللذين تحتها منذ الدهر. اليوم خلاص العالم بأسره، المنظور والغير المنظور. اليوم حضور المسيح السيد المزدوج: رافة مزدوجة، نزول مزدوج مع تنازل، محبة للبشر مزدوجة، افتقاد للبشر مزدوج. نزل المسيح من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى ما تحت الثرى. أبواب الجحيم تفتح. افرحوا يا من ترقدون منذ الدهور البعيدة، الموجودين في الظلام وظلال الموت، تقبلوا النور العظيم. يأتي الرب في ما بين عبيده، الإله فيما بين الأموات، الحياة في ما بين الموت، البريء فيما بين المذنبين. النور الذي لا يغرب فيما بين القابعين في الظلام، المحرر فيما بين الأسرى، تحت الثرى هذا

## نزول المسيح إلى الجحيم

هو الذي أعلى من السماوات. جاء المسيح إلى الأرض وآمنا بذلك. نزل المسيح إلى الأموات فلننزل معه ولننلّم الأسرار الحاصلة هناك. لنتعرّف إلى العجائب الخفية الحاصلة تحت الأرض والتي لله الخفي. لنتعلم كيف أشرقت كرازة المسيح أيضاً على السالكين في الجحيم

### البارحة واليوم

٣- ماذا أيضاً؟ بنزوله إلى الجحيم هل يخلص الإله الجميع بدون استثناء؟ لا، لأنه كما على الأرض هكذا أيضاً هناك، يخلص الذين آمنوا به. البارحة رأينا مظاهر ضعف المسيح الخلاصي، واليوم نرى مظاهر قوته. البارحة عايشنا طاعته، واليوم نشهد لسيادته. البارحة علامات طبيعته الإنسانية، واليوم العلامات الإلهية. البارحة لظموه، واليوم بريق لاهوته يشقّ مسكن الجحيم المظلم. البارحة قيّدوه، واليوم هو الذي يقيد الطاغية الشيطان بقيود لا تنحل. البارحة حكموا عليه، واليوم يهب الحرية للمحكوم عليهم بالخطيئة. البارحة استهزأ به خدام بيلاطس، واليوم رأوه بوابو الجحيم فارتعدوا

### القديم والجديد

٤- أنظر إلى آلام المسيح وما يفوق قدرة الكلام. أنظر إليها وارفع التسبيح. أنظر ومجدّ عجائب الله العظيمة. انظر كيف يمضي الناموس الموسوي وتزهر نعمة المسيح، كيف تذهب الرموز والأشكال ويكرز بالحقيقة، كيف يغيب الظلام وتعمّ الشمس المسكونة، كيف يضحى العهد القديم لا فائدة منه ويصدق على الجديد، كيف تمضي الأشياء وتهر الجديدة. شعبان وجدوا في صهيون معاً في آلام المسيح (اليهودي والوثني) ملكان: بيلاطس وهيرودوس. رئيسا كهنة: حنّان وقيافا. هكذا يتم الفصحان معاً، ينتهي الفصح اليهودي ويبدأ الفصح المسيحي

في الليلة نفسها تُقدّم ضحيتان، يتمّ فيها خص الأحياء والأموات. من جهة يقبض الشعب اليهودي على حمل الله ويذبحونه، ومن جهة أخرى يتعرّف الوثنيون إلى الله المتخذ جسداً. يقبض اليهود على المسيح ويتردونه خارجاً، فتقبله الأمم بنشاط. اليهود يقدمون ذبيحة حيوانية، والأمم تقدم ذبيحة الإله اللابس جسداً بشرياً

### حياة مزدوجة

٥- اليهود يقدمون ذبيحة الفصح تذكراً لخروجهم من مصر، والأمم يعلنون فيها خلاصهم من ضلالة الأوثان. أين يتم ذلك؟ في صهيون مدينة الملك العظيم. فيها صنع الخلاص في وسط الأرض، حيث ظهر يسوع أين الله بولادته بين حيوانين (الثور والحمار)، بين وجودين، جسدي وروحي، يرمز إليهما الحيوانان. هذا الذي

## نزول المسيح إلى الجحيم

ظهر حياة المولود من الحياة والواهب الحياة، الذي ولد في مزود في ما بين  
الملائكة والبشر، الذي وقف فيما بين شعبين وجعلهما واحد كحجر الزاوية، الذي  
كُرز به بين الناموس والأنبياء، الذي ظهر بين موسى وإيليا على جبل ثابور، الذي  
بين لصين أعلن إلهاً من قبل اللص الشكور، هذا الذي يجلس أبدياً على كرسي  
القضاء حيث تنتهي الحياة الحاضرة وتبدأ المستقبلية يظهر اليوم بيت الأحياء  
والأموات مانحاً الحياة والخلاص معاً، حياة مزدوجة، ولادة مزدوجة مع إعادة  
ولادة. فأنظر إذناً إلى الأحداث وصقّق لعجائب ولادة المسيح المزدوجة

### الولادتان:

٦- ملاك يبشر والدة الإله مريم بالحبل المسيحي وولادته، وملاك يبشر مريم  
المجدلية ببشارة الفرح بقيامة المسيح من القبر. المسيح يولد لياً في بيت لحم،  
وكذلك لياً يولد من جديد من بين الأموات في صهيون. يولد في مغارة من صخر،  
ويولد ثانية عند القيامة من مغارة وصخرة. يُلف بالأقمطة عند الولادة وعند الدفن.  
هناك تقبل المر الذي قدمه المجوس، وهنا يتقبل دهنه بالطيب ودفنه على يد يوسف  
ونيقوديمس. هناك يخدمه يوسف خطيب مريم الذي لم يكن يعرفها، وهنا يوسف  
الذي من الرامة. هناك الرعاية بشرّوا بولادة المسيح، وهنا رعاة أيضاً، وهم تلاميذ  
المسيح، بشرّوا قبل غيرهم بولادته الجديدة من الأموات. هناك هتف الملاك  
بالعذراء "افرحي"، وهنا المسيح ملاك الرأي العظيم هتف بحاملات  
الطيب "افرحن". في ولاته الأولى دخل المسيح إلى اورشليم الأرضية بعد أربعين  
يوماً، دخل إلى الهيكل وقدم لله كونه البكر زوج حمام. أيضاً عند ولادته الجديدة من  
الأموات بكرةً ولا فساد صعد بعد أربعين يوماً إلى اورشليم السماوية التي لم ينفصل  
عنها، إلى قدس الأقداس، وقدم لله الأب زوج حمام بلا عيب وهما النفس والجسد،  
جسدنا. هناك في السماء تقبله سمعان، ولكن أي سمعان هذا؟ القديم الأيام، الله  
الذي قبل الدهور، وكان على ذراعيه، في حضنه ما يتعدى كل وصف بشري. وإن  
اعتبرت كل ذلك خرافة لا إيماناً حقاً أدانتك الأختام غير المنتهكة، أختام القبر  
السيدي لقيامة المسيح. فإنه كما ولد المسيح من العذراء حافظاً أختام البتولية (تلك  
التي تُتَح طبيعياً بالحبل عند النساء كافة) مصونة، هكذا حصل بالضبط لدى قيامة  
المسيح من الأموات إذ أن أختام القبر لم تفتح هي أيضاً عند القيامة

### يوسف ونيقوديموس

٧- كيف، متى ومن دفن المسيح الحياة؟ لننظر ماذا يقول الكتابات الشريفة. "لما  
كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف. هذا تجراً ودخل إلى بيلاطس  
وطلب جسد يسوع" (متى ٢٧: ٥٧-مرقس ١٥: ٤٣). جاء المانت إلى المانت يطلب  
أن يأخذ إله البشر! الجبله تطلب من الجبله أن تأخذ جابل الكل! العشب يطلب من  
العشب أن يأخذ النار السماوية! القطرة العدم تطلب من القطرة الأخرى أن تعطي

## نزول المسيح إلى الجحيم

المحيط بأسره! من شهد ومن سمع بمثل هذا الذي لا يسمع به قط: إنسان يهب إنساناً آخر صانع الكل! قاضٍ لا قضاء عليه يسمح بأن يدفن محكوماً عليه وهو قاضي القضاة!

"لما كان المساء جاء رجل غنيّ اسمه يوسف". بالحقيقة هو ني لأنه أخذ شخصَ الرب بكامله. بالحقيقة غنيّ لأنه أخذ من بيلاطس المسح بحضوريه. غنيّ لأنه استحق أن يأخذ اللؤلؤة الثمينة. غنيّ لأنه أخذ في يديه خزينةً تحتوي على الذخيرة الإلهية كاملة! كيف لا يكون غنياً هذا الذي حصل الحياة وخلص العالم! كيف لا يكون يوسف غنياً بعد أن تقبل كهديةً ذلك الذي يغذي الكلّ ويدبرهم؟ "لما كان المساء": لقد غاب شمس العدل في الجحيم. لذلك جاء رجل غنيّ اسمه يوسف من الرامة بقي مختبئاً خوفاً من اليهود. جاء معه نيقودمس الذي كان قد زار يسوع في إحدى الليالي (يوحنا ٣: ١-١٩: ٣٩، ٢)

## سر محبة الله العظيمة

٨- يا له من سر خفي أكثر من الأسرار كلها! خفيان يأتيان ليخفيا يسوع في القبر. وبطريقتهما الخفية يعلمان السرّ الخفي في الجحيم، سرّ الله الذي توارى في الجسد الواحد ينافس الآخر في حرارة استعدادهما نحو المسيح. من جهة يقدم نيقوديمس الدهن والطيب باكرام، ومن جهة أخرى يتقدم يوسف المستحق المديح إلى بيلاطس بجرأة وشجاعة. لكن لماذا، بعد أن رمى عنه كل خوف، يتقدم بيلاطس بجرأة ويطلب جسد يسوع؟ عندما يتقدم إليه بحذاقة كلّية من أجل أن يصيب هدفه. لذلك يستعمل في حديثه مع بيلاطس تعابير فاخرة لنلا يُغضبه ويفشل منذ البرهة، الذي شقق الأرض والصخور، الذي شقق حجاب الهيكل إلى اثنين. لم يقل لبيلاطس شيئاً من ذلك على الإطلاق. لكن ماذا قال له؟

## أعطني هذا الغريب

٩- شيئاً واحداً أطلب منك يا سيدي، غرضاً صغيراً جئت من أجله: أعطني أن أدفن جسد ذلك المانت، الذي حكمت عليه بالموت، جسد يسوع الناصري، يسوع الغريب، يسوع الفقير، الذي لا سقف له، يسوع المعلق عرياناً، يسوع ابن النجار الحقير، المقيد والمعروض في البرية، الغريب المجهول بين الغرباء، المعلق والمزدرى به بالحقيقة. أعطني هذا الغريب لأنه جاء من كورة بعيدة من أجل أن يخلص الإنسان المتغرب عن وطنه السماوي

أعطني هذا الغريب الذي نزل إلى الأرض المظلمة من أجل أن يرفع الغريب

أعطني هذا الغريب لأنه وحده غريب بالحقيقة

## نزول المسيح إلى الجحيم

أعطني هذا الغريب الذي لا نعرف بلده نحن المغتربين

أعطني هذا الغريب الذي نجهل طريقه ومكانه نحن الغرباء

أعطني هذا الغريب الذي عاش حياة المغترب بين المغتربين

أعطني هذا الغريب الذي ليس له هنا ما يسند إليه رأسه

أعطني هذا الغريب الذي لا سقفَ له، وولد في مغارة كغريب بين الغرباء

أعطني هذا الغريب الذي، وهو بعد طفل خارج من المزود، هرب لكي ينجو من  
هيرودوس

أعطني هذا الغريب الذي تغرب في مصر وهو بعد في الأقماط

أعطني ذاك الذي لم يكن له لا مدينة، ولا قرية، ولا بيت، ولا مسكن ثابت، ولا أي  
قريب من جنسه، لكن سكن مع أمه في كورة غريبة مع أنه يحوي كل شيء

سيدي! اسمح لي أن أستر جسد المعلق عرياناً على خشبة الصليب الذي ستر عري  
طبيعتي لخاصة. أعطني أدفن ذاك المانت الذي دفن خطيئتي في مياه الأردن. أتوسل  
إليك من أجل مانت حكم عليه من الجميع، سلّم على يد تلميذه، تركه أصدقاؤه،  
طرده اخوته وضربه عبده! أتوسل إليك من أجل حكم عليه من قبل هؤلاء الذين  
حررهم من العبودية، جرح من قبل الذين شفاهم، تركه تلاميذه وحرم حتى من أمه.  
أطلب إليك يا بيلاطس، من أجل مانت معلق على الصليب، ليس له أحد يخدمه، لا  
أب على الأرض، لا صديق، لا أقارب، لا أحد يدفنه. هو وحده الابن الوحيد للآب  
الوحيد، الإله في هذا العالم، الذي لا إله سواه

## الدفن

١٠ - بمثل هذا الكلام كان يتوسل. بيلاطس بأن يعطى جسد يسوع. جاء يوسف  
بعدها إلى الجلجلة وأنزل الإله بالجسد عن الصليب. بسط على الأرض جسد الإله  
عرياناً. فها هو ممدد على الأرض، هذا الذي جلب الكل إلى العلاء. يبقى لفترة بدون  
نسمة هذا الذي هو نسمة الكل وحياتهم. يظهر عديم النظر هذا الذي أبدع الشاروبيم  
الكثيري الأعين. يضحى على الأرض هذا الذي هو قيامة الكل. يمات الإله بالجسد،  
وهو الذي أقام الأموات. ويصمت هدير كلمة الله بالجسد. أيادي بشرية ترفعه، وهو  
الذي أمسك الأرض كلها

## نزول المسيح إلى الجحيم

تُرى يا يوسف بعد أن طلبتَ وأخذتَ، هل تعرف بالحقيقة من استلمت؟ بعد أن اقتربتَ من الصليب وأنزلت يسوع، هل تعرف بالحقيقة من تمسك بيديك؟ إن عرفت فعلاً أصبحت الآن غنياً. وإلا كيف تتجاسر على هذا الدفن الرهيب، دفن يسوع الإله بالجسد؟ ممدوحة بالحقيقة رغبتك، لكن استعداد نفسك هو أجدر بالمديح. ألا ترتعد يا ترى عندما تحمل على يدك هذا الذي ترتعد منه الشاروبيم؟ بأي قدر من الخوف عرّيتَ جسد الإله هذا من الثوب الخفيف الذي كان يستره؟ بأي قدر من الخشوع أغلقتَ عينيه؟ ترتجف إذ تحدّق بالطبيعة الجسدية التي للإله الفائق الطبيعة

### كيف دفنت الخالق؟

١١- قل لي يا يوسف، أدفنت يسوع موجّها إياه إلى الشرق كسائر الأموات، وهو مشرق المشارق؟ هل أغلقت بأصابعك عينيه كما يجري للأموات، وهو الذي فتح عيني الأعمى بإصبعه القدوس؟ هل أغلقت فم ذلك الذي فتح فم الأبكم الأخرس؟ هل ربطت يدي ذلك الذي حلّ اليدين المخلعتين؟ هل قيّدت قدمي يسوع الذي حرّك القدمين اليايستين؟ ربّما حملت على سرير الأموات هذا الذي أمر المخلّع بأن يحمل سريره. ربّما سكبت طيباً على الذي أخلى ذاته كطيب سماوي ليجدد العالم؟ هل تجرّأت يا ترى على مسح الجنب المسيل الدّم، جنب يسوع الإله الذي شفى نازفة الدم الحزينة؟ هل غسلت بالماء جسد الإله الذي غسل خطايا الكل ووهب التطهير؟ أي سراج أشعلت أمام النور الحقيقي المنير كل إنسان؟ هل رثلت تراثيل جنازية لذلك الذي ترتل له القوات الملائكية بلا فتور؟ هل سكبت دموعاً على يسوع الذي دمّع وأقام لعازر صديقه المات؟ هل رثيت الذي منح الفرح ووضع حدّاً لحزن حوآء؟

١٢- مغبوطان على كل حال يداك يا يوسف لأنهما لامستا اليدين الإلهيتين، وقدمي يسوع النازفتين بعد دمّاً. مغبوطان يداك اللتان مسّتا جنب الإله قبل يدي توما الأمين في فضوله المستحق المديح. مغبوط فمك الذي شبع ممّن لا يُشبع منه واتحد بغم يسوع فامتلاً منه بالروح القدس. مغبوطتان عيناك اللتان قابلتا عيني المسيح وأخذتا منهما النور الحقيقي. مغبوط وجهك الذي واجه وجه يسوع. مغبوطان كتفك اللذان حملا الذي حمل الجميع مغبوط رأسك الذي اقترب من يسوع رأس الجميع. طوبى لكما يا يوسف ونيقودمس لأنكما أصبحتما شاروبيماً مثل الشاروبيم عندما حملتما الإله ورفعتماه، وأصبحتما سارفيماً قبل السارفيم ذوات الستة الأجنحة عندما خدمتما الإله. لقد أكرمتما المسيح وسترتما لا بالأجنحة بل بالسباني. هذا الذي ترتعد منه الشاروبيم يحمله يوسف ونيقوديمس على أكتافهما وينقلانه مع كل الأجناد السماوية

المنظر الرهيب: يسوع عريان ماتت

## نزول المسيح إلى الجحيم

١٣ - جاء يوسف ونيقوديمس ومعهما جوق الملائكة بكامله. أقبل الشاروبيم وأسرع السارفيم. تحمله العروش، تستره ذوات الستة أجنحة، ويرتعد معها الكثيرون الأعين عندما يشاهدون يسوع بالجسد عديم النظر. القوات تلقه والرؤساء ترتب له والطغمة ترتعد. تسقط القوات الملائكية كلها في دهشة وانخفاف ويتساءلون بتحير كبير: ما هو هذا المر الرهيب والخوف والرعدة والسبيل؟ ما هو هذا المشهد العظيم المتناقض وغير المدرك؟ هذا الذي لا نتجاسر نحن العاديين الأجساد أن ننظر إليه في السماء من الارتعاد، ينظر هنا على الأرض إنساناً عرياناً ومائتاً! هذا الذي الشاروبيم أمامه بكل خشوع يدفنه يوسف ونيقوديمس بحماس. متى نزل على الأرض هذا الذي لم يغادر السماء؟ كيف خرج إلى الخارج هذا الذي يملأ الكل بحضوره؟ كيف تعرى هذا الذي ستر الجميع؟ الحاضر دوماً في السماء كاله مع الآب يعيش الآن باستمرار على الأرض مع أمه إنساناً حقيقياً! هذا الذي لم يظهر أبداً كاله للبشر كيف يظهر الآن بشراً ومحباً للبشر معاً؟

## هدف نزوله إلى الجحيم

١٤ - كيف صار الغير منظور منظور؟ كيف اتخذ الغير الهيولي جسداً؟ كيف تألم الذي بلا هوى؟ كيف وقف القاضي ليُدان؟ كيف ذاق الحياة الموت؟ كيف وسع القبر من هو غير موسوع؟ كيف يسكن القبر من لم يزل في حضن الآب؟ كيف يدخل باب المغارة من لم يفتح أبواب السماوات؟ كيف يفتح أبواب الفردوس من صان أبواب البتولية مغلقة؟ كيف حطم أبواب الجحيم إلا أنه لم يفتح أبواب العلية حيث كان توما ينتظره؟ كيف فتح للبشر أبواب ملكوت السماوات إلا أنه ترك أبواب القبر وأختامه تُفتح من نفسها؟ كيف أحصي في عداد الأموات من هو حرّ بين الأموات؟ كيف يأتي النور الذي لا يغرب إلى الظلمة والظلال؟ أين يذهب؟ أين هذا الذي لا يستطيع الموت أن يدركه؟ ما هو السبب؟ ما هو السبيل؟

ما هو هدف نزوله إلى الجحيم؟ ربما ينزل ليرفع أخانا في العبودية آدم المحكوم عليه؟ حقاً! إنه يسير بدون شك، يطلب المجبول أولاً، الخروف الضال، ويريد أن يفتقد هؤلاء القابعين في الظلام وظلال الموت. يسير بدون شك ليحرر من الآلام لا مُقيّد وحواء معه. وهو الإله وابنهما في آن

## أبرار العهد القديم

١٥ - لننزل إذن مع المسيح! لنسرع ونتهمل معه إذ نشاهد البشر مصالحين مع الله والمحكوم عليهم محررين من قبل السيد الصالح. لأن الذي هو بطبيعته محبّ للبشر يجري ليفكّ المقيد من القديم بشجاعة وقوة كثيرة، هؤلاء القابعين في القبور، الذين ابتلعهم الطاغية المرّ المتوحّش بعد أن أخضعهم لسلطانه ونشلهم كالص من

## نزول المسيح إلى الجحيم

أحضان الله. هناك نجد آدم المقيد الذي جُبل أولاً ومات موضعه أعمق من سائر المحكوم عليهم. هناك هبيل الراعي البار الأول والذبيحة البريئة الأولى مثال الذبح الظالم للمسيح الراعي. هناك نوح مثال تابوت المسيح العظيم الذي أنشأ كنيسة الله التي، بواسطة حمامة الروح القدس، خلصت الأمم البربرية من طوفان عدم الإيمان وطردت منها الغراب الأسود الشيطان المظلم. هناك أيضاً إبراهيم جد المسيح ذابح ابنه والذي قدم لله الذبيحة الشهيرة التي بالسيف وبدون سيف، بموت وبدون موت في آن واحد. هناك يوجد يعقوب حزيناً في الجحيم أسفل، كما حزن على الأرض لفقدان يوسف. هناك يوسف المسجون في مصر مثال المسيح المسجون والسيد. وفي أسفل الظلمات نجد موسى كما كان مرة على الأرض داخل السلّة المظلمة. هناك النبي دانيال في أسفل الجحيم كما وجد وهو على الأرض في جبّ الأسود. هناك ارميا النبي في قعر الجحيم وفساد الموت كما كان في جبّ الهلاك حيث رماه أبناء جنسه. هناك أيضاً في قم الجحيم التي تبتلع العالم النبي يونان الذي يمثل المسيح الأزلي. هناك داود جد الإله الذي انحدر منه المسيح بالجسد. ولماذا أقتصر على ذكر داود، يونان سليمان؟ هناك أيضاً يوحنا المعمدان العظيم الفائق على كل الأنبياء وكأنه في جوف مظلمة (كما كان قديماً في بطن أمه اليصابات) يسبق ويعن المسيح لكل المقيدون في الجحيم، وهو السابق والكارز للأحياء والأموات معاً. هذا الذي عند ذبحه أرسل من سجن هيرودس إلى سجن الجحيم، إلى الراقدين منذ الدهر، الأبرار والمظلومين

## ابتهاال الأبرار

١٦- ومن هناك، من أسافل الجحيم كان الأنبياء والأبرار يبتهلون إلى الله بصلوات حارة ومستمرة طالبين الخلاص من الليل القاتم المظلم، الذي لا نهاية له، الحزين الموجع، السائد عليه الشيطان العدو. كان الواحد يقول لله: "من جوف الجحيم استغثت فسمعت صوتي" (يونان ٢: ٣)، والآخر يصرخ: "من الأعماق صرخت إليك يا رب، يا رب استمع إلى صوتي" (مز ١٢٩: ١-٢). آخر يبتهل: "أظهر وجهك علينا فنخلص"، وآخر يتوسل: "أنت الجالس فوق على عرش الشاروبيم اطلع علينا"، وواحد آخر يصلي: "يا رب شددني بسلاح قوتك الذي لا يقهر وتعال إلي وخلصني"، وآخر بحزن: "يا رب ارث لنا وتدركننا رأفتك"، وآخر يصرخ: "خلص نفسي من أعماق الجحيم"، وآخر: "يا رب أخرج نفسي من الجحيم"، وأيضاً يا رب لا تترك نفسي في الجحيم"، وكذلك: "لترتفع حياتي من الهلاك إليك أيها الرب إلهي (يونان ٢: ٧). لقد سمع الله الجزيل التحنن هؤلاء كلهم، ولم يشأ أن يقدم محبته فقط إلى البشر الذين كانوا يعيشون معه على الأرض، لكنه بسط على كل المقيدون في الجحيم، الذين ينتظرونه في ظلام الموت وظلاله وقبل أن تذهب إليه. فافتقد الله الكلمة الذين إلى الأرض بجسده المتنفس الحي وللنفوس التي تركت جسدها على الأرض وأصبحت في الجحيم ظهر بنفسه الإلهية الطاهرة بدون جسد ولكن ليس بدون ألوهيته.

## نزول المسيح إلى الجحيم

### كيف سحق قوة الموت

١٧- لنسرع إذاً ونذهب بالفكر إلى الجحيم لكي نرى هناك كيف يتغلب بقوة، بقدرة عظيمة على الطاغية المتسلط على النفوس المقيدة، كيف يأسر بلمعانه، بجيشه العظيم وبلا أيد جحافل الشياطين العديمة الموت! يرفع المسيح بصليبه من الوسط أبواباً لا نوافذ لها وغير خشبية بمسامير إلهية يسحق الأمخال الدهرية، وييده الإلهيتين المربوطتين يذيب كالشمع السلاسل العسرة الحلّ. بالحربة التي طعنت جنبه الإلهي وبلا جسد يطعن قلب الطاغية. يسحق قوة قسيه في الوقت الذي يبسط يديه الإلهيتين بمثابة قوس على الصليب. لذلك إن تبعنا المسيح بهدوء، ترى الآن أين رُبط الطاغية وأين عُلق رأسه، كيف نبش سجن الجحيم وحرر المقيدون، كيف داس هدم المتوسط وأين حكم على التنين الخبيث، أين أمات الموت، كيف أفسد الفساد وكيف أعاد الإنسان إلى مرتبته الملكية الأولى

### مواكب الملائكة

١٨- ذاك الذي البارحة بتنازله غير المحدود لم يلجأ إلى مساعدة الجيوش الملائكية قائلاً لبطرس: "باستطاعتي الآن أن أطلب أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة" (متى ٢٦: ٥٣)، ينزل اليوم بموته إلى الجحيم، إلى الموت، ضد الشيطان الطاغية، كما يليق بالله وبالسيد، على رأس جيوش عديمة الجسد والموت، طغمت غير منظورة، لا فقط اثني عشر جيشاً بل ربوات، ربوات آلاف آلاف من الملائكة، من رؤساء الملائكة، من السلطات، من العروش، من ذوات الستة الأجنحة، من الكثيري الأعين، من الطغمت السماوية تتقدم المسيح بمثابة ملك لها وسيد توابه، وتكرمه. ليس ذلك التحالف معه وموازرتة في الحرب. لا أبداً! إذ كيف يحتاج إلى حليف حربي من هو المسيح الكلي القدرة؟ توابه تحتاج وتتشوق إلى أن تكون دائماً إلى جانبه. تركض القوات الملائكية كعساكر مرافقة مسلحة بالسيوف بمثابة صواعق بارقة، مسلحة بالصواعق الإلهية الكلية القدرة التي لملكها. تبادر القوات بحماس كبير ويفوق أحدها الآخر سرعة مليياً مجرد الإشارة الإلهية ومنقذاً الأمر الإلهي ومكلاً بإكليل الظفر ضد الأعداء الطغاة. لذلك فهي تنزل إلى سجون الأموات القدماء جداً ما تحت الثرى، في قلب الجحيم وأعمق من كل الأرض، وذلك لُخرج الآن المكبلين بالسلاسل والراقدين منذ الدهر.

### ارفعوا الأبواب ارفعوا

١٩- ما أن ظهر الرب بحضوره الإلهي المشع أمام أبواب الجحيم المقفلة، أمام السجون المظلمة القاتمة في قعر مغاور الجحيم، حتى تقدمه جبرائيل رئيس الجنود كونه اعتاد أن يجلب بشارة الفرح إلى البشر. وبصوت قوي لائق برؤساء الملائكة

## نزول المسيح إلى الجحيم

يهتف بصوت طنان كصوت الأسد نحو القوات المعادية: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم"، ويصرخ معه ميخائيل: "لتسقط الأبواب الدهرية"، ومن ثم تتابع القوات: "إلى الوراها أيها الحراس الأثمة" والسلطات تأمر بشدة: "حطّموا السلاسل العسرة الحلّ" ورئيس آخر يضيف: "الخزي لكم يا طغاة غير مبالين". زكما يحدث عند حضور جيش ملكي رهيب لا يُقهر وكلّي القدرة، حين يسود القائد غير المقهور على الأعداء بالردة بالاضطراب، بالخوف الشديد، هكذا حصل فجأة ما أن حضر المسيح بهذا الشكل الغريب إلى أسافل الجحيم. من فوق برق قوي يعمي وجوه قوّات الجحيم المعادية، وفي الوقت نفسه كانت تُسمع هتافات الجيوش المرعدة. "ارفعوا الأبواب". لا تفتحوا فقط بل اقتلعوها من أساسها، اخرجوا كلياً من مكانها حتى لا تستطيع من بعد أن تقوم. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، لا لأن الرب لا يستطيع أن يفتحها، وهو إن شاء أمر ودخلها وهي مقفلة، لكنّه يأمركم كعبيد فارين بأن ترفعوا الأبواب الدهرية وتنقلوها من هنا. لا يأمر شعبه بل يأمركم أنتم الرؤساء: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم" (مز ٧: ٢٣-١٠).

من الآن فصاعداً لن تكونوا رؤساء متسلّطين على أحد مع أنكم حتى الآن سدتهم باطلاً على الراقدين. لن تسودوا بعد الآن عليهم ولا على غيرهم ولا حتى على أنفسكم. ارفعوا الأبواب لأن المسيح أتى وهو الباب السماوي. افتحوا الطريق أمامه فقد داس بقدمه معقل الجحيم. اسمه "رب" والرب له الحق والقدرة أن يخترق أبواب الموت، لأن مدخل الموت قد صنعتموه أنتم وهو آتٍ لكي يعبره. لذا افتحوا بسرعة ولا تتأخروا. افتحوا ولا تُرجئوا. إن ظننتم أنه سوف ينتظركم فباطلاً تفعلون، لأنه سوف يأمر أن تفتح الأبواب من نفسها وبدون أيدي: انفتحي أيتها الأبواب الدهرية!

## تزعزعت القوات المعادية

٢٠- ما أن سعد هتاف القوات الملانكية حتى انفتحت الأبواب في اللحظة نفسها. في اللحظة نفسها تحطمت الأمخال والسلاسل، فسقطت المفاتيح وتزعزعت أساسات السجن. هرعت القوات المعادية إلى الهرب فجأة: واحد يدفع الآخر، آخر يتشابك بين أقدام غيره، كل واحد يحث الذي بجانبه على الفرار بسرعة. ارتعدت، تزعزعت، ضاعت، اضطربت، تغيّرت ألوانها، خافت، وقفت وتحيّرت، تحيّرت وارتجفت. بقي الواحد فاغراً فمه، والثاني ستر وجهه بين ركبتيه، والثالث سقط على الأرض جامداً من الخوف. آخر وقف بلا حراك كأنه مانت. الواحد يجمد في مكانه، والآخر يركض طالباً النجاة بعيداً.

من هو هذا ملك المجد؟

## نزول المسيح إلى الجحيم

٢١- في هذه الساعة قطع المسيح رؤوس الطغاة المذهولين. تعطلت أجمتهم وأخذوا يتساءلون: "من هو هذا ملك المجد؟" من هو هذا الذي جاء إلى هنا قائماً يمثل هذه الأعمال الغريبة؟ من هو هذا ملك المجد الذي يفعل الآن في الجحيم ما لم يفعل فيها قبلاً على الإطلاق؟ من هو هذا ملك المجد الذي يُخرج من هنا المكبلين منذ الدهر؟ من هو هذا الذي به انحلت سلطتنا وجسارتنا غير المقهورتين حتى الآن. وقضي عليهما؟

وكانت قوآت الرب تجيبها قائلة: أتردين معرفة من هو ملك المجد؟ "إنه الرب القوي في القتال" الكلي القدرة وغير المنهزم. هو الذي طردكم من الأخبية السماوية ورماكم خارجاً أنتم الطغاة الأثمة الأشقياء. هو الذي سحق في مياه الأردن رؤوس تنانيكم. هو الذي جعلكم مشهداً للجميع على صليبه. شهراً بكم ونزع عنكم كل قوة. هو الذي قيدكم ورماكم في الظلمة والهوة. هو الذي سيقضي عليكم نهائياً في النار الأبدية وجهنم. فلا تتأخروا، ولا تنتظروا، بل أسرعوا وأخرجوا المكبلين الذين ابتلعتموهم إلى الآن برداءة. من الآن فصاعداً لن تكون لكم أية قدرة. زالت سلطتكم الطاغية تحطم كبرياؤكم بصورة تثير الشفقة. أمحت قوتكم وزالت إلى الأبد

## عمل القوآت

٢٢- كانت قوآت الرب الظافرة تهتف بهذا الكلام إلى قوآت العدو وفي الوقت نفسه تعمل بلا هوادة. منهم من هدم السجن من أساساته. آخرون طردوا الأعداء الهاربين إلى الأماكن العميقة. آخرون يركضون ويفتشون دركات الأرض والمغاور والمعازل. والكل من جهات مختلفة كان يأتي بالمقيدين إلى أمام الرب. منهم من كان يقيد الشيطان الطاغية، وغيرهم يحرر المقيدين منذ الدهر. منهم من يتقدم الرب السائر إلى أعماق الجحيم، وآخرون يتبعونه ظافرين وراء الله والملك

## تحرير آدم

٢٣- بينما كانت تجري هذه الأحداث في الجحيم ويهتز كل شيء، كان الرب يقترب من الأعماق البعيدة حيث كان آدم المخلوق أولاً، المَجْبُولُ أولاً والمائت أولاً، مقيداً بصورة متينة في موضع أعمق من غيره، وهو يسمع خطوات الرب الذي كان يتقدم فيما بين المساجين، وقد عرف للحال صوته وهو يمشي في السجن. فالتفت عندها إلى المحيطين به منذ الدهر وهتف بهم قائلاً: "يا أصحابي! إنني أسمع رنين خطوات شخص يقترب مني. إن استحقينا فعلاً أن يأتي إلى ههنا سوف نُطلق أحراراً! إن شاهداه بيننا، أنقذنا من الجحيم"

## نزول المسيح إلى الجحيم

٢٤- في الوقت الذي كان فيه آدم يتكلم إلى المحكوم عليهم معه، يدخل الرب ماسكاً سلاح الصليب الظافر. ما أن واجه آدم حتى قرع صدره من الفرح وهتف لجميع الراقدين: "ليكن الرب معكم جميعاً!" فأجابه المسيح: "ومع روحك أيضاً". ومن ثم يمسكه بيده ويرفعه إلى فوق قائلاً له: "استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضئ لك المسيح" (أفسس ٥: ١٤). أنا هو الإله الذي صرتُ ابناً لك من لأجلك. أنت معي الآن مع كل أبناء جنسك، وبسلطتي الإلهية أمنحك الحرية، وأقول للمقيدين اخرجوا! وللذين في الظلام استعلنوا، وللذين على الأرض انهضوا

## وإلى آدم

وأنت يا آدم لك أمراً: انهض من نومك الدهري. لم أجلك لكي تبقى مكبلاً في الجحيم. قم من بين الأموات لأنني أنا هو حياة الراقدين. انهض إلى فوق، انهض يا من أخذ شكلي، من خلقتة على صورتي. انهض لنرحل من هنا لأنك أنت في وأنا فيك! من أجلك أخذت صورة عبد. من أجلك نزلت إلى الأرض وإلى ما تحت الأرض أنا الذي هو أرفع من السماوات. من أجلك "صرت مثل إنسان ليس له معين منفصلاً عن الحياة فيما بين الأموات" (مز ٨٧: ٥). من أجلك أنت. يا من خرجت من بستان الفردوس، في بستان سلّمت إلى اليهود وفي بستان صلبت (يو ١٩: ٤١). أنظر البصاق في وجهي. قد قبلته من أجلك، من أجل أن أعيدك إلى مجدك القديم الذي وهبته إياه بنسمة من عندي. أنظر اللطامات على خدي. قبته من أجل أن أصلح شكلك الذي تشوّه وأعيده إلى الشكل الذي على صورتي. أنظر الجلد على ظهري، قبلته لكي أبدد حمل خطاياك. أنظر إلى يديّ المسمرتين بسطتهما على عود الصليب من أجل غفران خطيئتك أنت الذي بسطت يدك على عود المعصية. أنظر إلى قدمي. ثقبتا وسمرتا على الصليب من أجل تطهير قدميك اللتين أسرعتا برداءة إلى عود الخطيئة. لقد صدر الحكم عليك في اليوم السادس. ولذلك في اليوم السادس أيضاً أجلك كم جديد وأفتح لك الفردوس. من أجلك ذقت المرارة لكي أشفيك من اللذة المرّة التي ذقتها بأكلك تلك الثمرة الحلوة. ذقت الخلّ لكي أخرج الحدة والمرارة من حياتك وكأس الموت من طبيعتك. قبلت الإسفنجة لكي أمحو سجلّ خطاياك. قبلت القصبية من أجل أن أوقع على تحرير الجنس البشري. بسطت راقداً على الصليب وطعن جنبي بحربة من أجلك أنت الذي بسطت راقداً في الفردوس وأخرجت حواء من جنبك. رقادني الخاص قد أقامك من رقاد الجحيم. السيف الذي ضربني رفع السيف الموجّه عليك (تكوين ٣: ٢٢). انهض لنرحل من هنا. قبلاً نفيتك من الفردوس الأرضي، والآن أعيدك لا إلى الفردوس بل إلى العرش السماوي. آنذاك منعت عنك عود الحياة (تكوين ٣: ٢٢)، لكنني الآن أتحد بك تماماً، أنا الحياة نفسها قبلاً أمرت الشاروبيم بحراستك كعبد والآن أقود السارفيم للسجود لك كإله. لقد اختفيت قبلاً من أمام الله لأنك كنت عرياناً، لكنك الآن أهلت الآن لأن تخفي في داخلك الله نفسه عرياناً. ولذلك انهضوا لنرحل من هنا! من الموت إلى الحياة، من الفساد إلى عدم الفساد، من الظلمة إلى النور الأبدي، من الوجد إلى الحرية،

## نزول المسيح إلى الجحيم

من سجن الجحيم إلى اورشليم السماوية، من القيود إلى الراحة، من العبودية إلى نعيم الفردوس، من الأرض إلى السماء

### انهضوا

٢٥- من أجل هذا مات المسيح وقام. لكي يصير ربّ الأحياء والأموات (رو ١٤: ٩).  
انهضوا إذاً لنرحل من هنا. إن الآب السماوي ينتظر بشوق الخروف الضال.  
الملائكة التسعة والتسعون (متى ١٨: ١٢) ينتظرون شريكهم آدم متى يقوم، متى  
ينهض ويعود إلى الله. العرش الشاروبيمي جاهز. الذين سوف يرفعونك يتسارعون  
معجلين. خدر العرس مهياً ومائدة العيد مقروشة (رو ١٩: ٩، لو ١٤: ١٦). قد فُتحت  
خزائن الخيرات الأبدية. وحضر ملكوت السماوات الذي منذ إنشاء العالم  
(متى ٢٥: ٣٤). خيرات لم ترها عين ولا سمعت بها أذن الإنسان (١ كو ٢: ٩). هذا  
وما شابهه قاله الرب. وللحال نهض آدم المتحد به وحواء معهما. "وقام أيضاً معهم  
عدد كبير من أجساد الصديقين الذين رقدوا منذ الدهر" (متى ٢٧: ٥٢)، كارزين  
بقيامه المسيح ذات الثلاثة الأيام. فلنلقبها ونعانقها نحن المؤمنين بكل فرح معيدين  
وراقصين مع الملائكة ورؤساء الملائكة ممجدين المسيح الذي أقامنا من الفساد  
الذي يليق به المجد والقوة مع الآب الذي لا يموت والروح المساوي له في الجوهر  
الصالح والصانع الحياة، إلى دهر الدهرين، آم